ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد:02(2025) ص: 40- 49

انهيار حلم تأسيس المدينة الفاضلة في رواية (شيطان في نيو قرطاج) لرجاء نعمة

The collapse of the dream of establishing the ideal city in the RajaeNiamete's novel devil in new kartaje

د.الطاهر مسيلي*

جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية
(الجزائر)

Tahar.messili@univ-bejaia.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/07/25
تاريخ القبول:
2025/10/29
تاريخ النشر:
2025/12/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **نيو قرطاج:**
- ✓ **المدينة الفاضلة:**
- ✓ **الانحطاط الأخلاقي:**

الملخص:

تهدف صفحات هذا المقال إلى الكشف عن وضع مدينة قرطاج بعد الهجرة إليها من طرف أناس يريدون تأسيس موطن جديد لهم مفارق تماما للمكان الذي قدموا منه والمعروف عنهم فيه بالتسلط والجرم.
خلصت هذه الدراسة إلى نتيجة مفادها أن ماضي المهاجرين إليها المثقل بشتى أنواع الانحطاط الأخلاقي كان السبب الرئيس في ضياع حلمهم بإنشاء المدينة الفاضلة التي كانوا ينشدوها.

Article info

Received
25/07/2025
Accepted
29/10/2025
Published
21/12/2025

Keywords:
- ✓ *New Kartaje:*
- ✓ *ideal city:*
- ✓ *Moral decay:*

Abstract :

This article aims at revealing the situation of the Kartaje city, after the migration of people there to establish a new homeland that will be different from their old one, where they used to be known as tyrants and criminals.
This study concluded with a result that the past of theseimmigrants to Kartaje, which is known by their moral decay was the main reason of the collapse of their dream in establishing their ideal city.

* د. الطاهر مسيلي

1. مقدمة

اهتم الروائيون العرب في كتاباتهم بموضوع الديستوبيا، خاصة بعد نكسة 1967والثورة الداخلية في لبنان، إضافة إلى حرب الخليج الأولى والثانية فالربيع العربي، هذا الأخير ألقى بظلاله على منجزاتهم الروائية التي صورت الانتفاضات الداخلية للشعوب العربية بغية تغيير وضعها نحو الأحسن، وكذا الخراب الذي تعرضت له بلدانهم بفعل ما حدث فيها من صراعات، الأمر الذي جعل بعضها يفقد الأمل في استشراف مستقبل أفضل نتيجة الأوضاع السيئة التي آلت إليها أوطانهم التي بدل أن تحقق التقدم نحو الأمام تراجعت بسنوات نحو الخلف فكل شيء أصبح فيها موحشا، وبذلك كانت صدمتهم كبيرة ونظرتهم لما سيكون لاحقا سوداوية، قاتمة يسودها الخوف من المجهول الذي قد يعصف بها.

تنتمي رواية " شيطان في نيو قرطاج " إلى هذا النوع من الروايات، وذلك بتصوريها لمستقبل مظلم سيشهده العالم العربي في زمن ما، وفيها رسمت صاحبتها خارطة عالم مستقبلي موحش للشعوب العربية انطلاقا من ضبابية راهنها بأسلوب يغلب عليه طابع الخيال العلمي الأسطوري، تكون فيه قرطاج مدينة السلام والفنون والعلوم، يسارع الناس بالذهاب إليها لاكتشاف جديدها وذلك بشغف كبير لم يعرفه تاريخ الهجرات إليها من قبل.

يشكل عالم هذه الرواية شخصيات غريبة الأطوار، كل واحدة منها لها ماضيها الخاص الذي حاولت إنكاره عن غيرها حتى تبقى حقيقتها مجهولة، لذلك لاذت جميعها بالفرار إلى هذه الأرض الجديدة حفاظا على أسرارها حتى لا تطير على الألسن فيرتبط بذلك حاضرها بماضيها، وينشغل سكان قرطاج بهم، ويدركون بأن مدينتهم – مدينة القرن الثالث–تبطن هي الأخرى سرا خرافيا جائرا سيعبث بقاطنيها جميعا.

تكمن إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمها: كيف صورت هذه الرواية مدينة قرطاج بعد الهجرة التي عرفتها؟ وما هي التنبؤات المستقبلية لها في خضم تشابك أحداثها الدرامية؟ وكيف كانت الصورة الطوباوية التي ارتسمت فيها؟ وما التكثيف الذي ركزت عليه كاتبتها؟

ومن المفروض أن توظف الروائية في نصها هذا آليات وأساليب جديدة لتوقع ما سيحدث للمدينة ولشخصياتها الفاعلة في إطار ما يسمى بالتنبؤ الذي حتما يرتبط بالماضي كونه هو المؤسس الفعلي للحاضر والمستقبل.

وجاء الهدف من هذه الدراسة متمثلا في الكشف عن المعطيات التي ارتكزت عليها مبدعة هذه الرواية في الحكم عن المصير السيء الذي ينتظر مدينة نيو قرطاج نتيجة الهجرة التي لحقتها.

ولكي ألم بحيثيات هذا الموضوع فإني ارتأيت تقسيمة إلى عنصرين أساسيين، خص الأول عنوان الرواية أما الثاني فكان متعلقا ببنيتها السردية.

2.العنوان دلالة على انهيار

يتكون عنوان هذه الرواية من أربع كلمات هي (الشيطان)، (في)، (نيو) و (قطاج). والمعروف عن الشيطان بأن«عمله الوسواس والإغراق بالشر والدعوة إلى القبائح...برنامجه كله ينحصر في الشر والفحش والخلاف ...يحسن في عيون أتباعه السيء حتى يروه

حسنا ...ويحمل لهم القبيح حتى لا يبصروه قبيحا...ويتخلى في ساعة العسر عنهم ويخون عهدهم». (الطنطاوي، 1442هـ، ص: 177-178).

أما (في) فهي تأتي بمعان عدة، من بينها: «الوسط، بمعنى داخل، كقولك: عبد الله في الدار، أي داخل الدار، ووسط الدار...» (ابن منظور،دت، ص: 168)، واستعملت في عنوان هذه الرواية بهذا المفهوم، أي أن الشيطان فعلا موجود داخل مدينة قرطاج.

وتعني كلمة (نيو) الإنجليزية الأصل (new)الجديد، لتصبح هنا بمعنى قرطاج الجديدة وهذا يحيل إلى أن هناك مدينة أخرى تحمل نفس الاسم سابقة عتها، أو أن هذه المدينة بعينها قديمة والقادمون إليها جاءوا لتجديدها.

وفيما يخص قرطاج فهي مدينة تونسية تقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، اسمها فنيقي الأصل «"قرت حدشت"، يعني المدينة الجديدة» (ميادان، 1981، ص: 10) التي قام بتأسيسها حوالي «سنة 814 قبل الميلاد جماعة من الفينيقيين أقبلوا من صور بقيادة " أليسار" أو "ديدون" أخت "بجماليون" ملك صور، وضمت هذه الجماعة المواطنين الأغنياء الذين تركوا صور تحت وطأة أحداث سياسية أو اقتصادية نجهلها، ورافقوا الملكة نحو مدينة واضحة المعالم يقطنها صوريون منذ القديم» (ميادان، 1981، ص: 16-17) بغية الاستقرار الدائم فيها.

ومن حيث الجانب التركيبي والنحوي لهذا العنوان فهو يتكون من كلمة (شيطان)، وهي اسم نكرة مفرد مذكر، (في) حرف جر، و (نيو قرطاج) اسم علم أجنبي مركب من كلمتين، وبذلك يكون عنوان هذه الرواية جملة اسمية تدل على الثبوت والسكون، وهذا ما نلاحظه في متن الرواية، إذ أن الماضي السيئ للشخصيات المهاجرة إليها التي أرادت البحث عن مدينة أفضل بقي مسيطرا عليها، وهو ما أثر سلبا على حياتها فيها. ويمكن إعراب هذه الجملة على النحو الآتي:

شيطان: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا أو هو.

في: حرف جر.

نيو قرطاج: اسم علم مجرور بـ(في) مبني على السكون.

في نيو قرطاج: شبه جملة متكونة من جار ومجرور في محل رفع صفة للشيطان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لفظ الشيطان مصدر، وهو الصيغة الاسمية الدالة على الفعل (شاط) التي تدل الاحتراق والاشتعال، وتم انتقاء هذه الكلمة من طرف الروائية للتعبير عن الشر الموجود في مدينة نيو قرطاج.

كان للإيحاءات الأسطورية لعنوان رواية " شيطان في نيو قرطاج " دور في ربط المستقبل بالماضي مع الرغبة في تجديده نحو الأحسن، ولكنّ لفظة الشيطان التي تصدّرت العنوان دلت على أنّ هذا التحول صعب لأنّ أخطاء الماضي إذا لم يتم تجاوزها ستقضي على هذا الحلم اليوتوبي المتمثل في النجاح بإنشاء مدينة نموذجية مثاليه، لذلك نرى أنّ هذه الصورة اليوتوبية التي حاولت الكاتبة تحذيرنا منها بداية من العنوان اتسمت بـ « بالشمولية وإلغاء الفردية وقهر الحرية في مجتمعات يفترض أنها مثالية، فاليوتوبيات وقعت في خطأ فادح عندما توهمت أنها تقدم لنا تصورات نهائية عن مجتمعات كاملة ومنظمة بشكل آلي ، لأنها ستكون بالتأكيد مجتمعات مغلقة وخانقة وخالية من نسمات الحرية » (برنيري، 1997، ص: 9)التي يناضل الإنسان من أجل تحقيقها ، وبالتالي فإن هذه المجتمعات ستسقط حتما في فخ الضياع والفوضى .

3.تعبير البنية السردية عن تبخر حلم بناء المدينة اليوتوبية

أن يكون الماضي مادة للرواية فتلك هي القاعدة التي تنطبق على معظم الإنتاج الروائي ، أما أن يكون المستقبل هو هذه المادة فعندها ندخل في الاستثناء الذي ينطبق على بعض النتاج ، ورواية " شيطان في نيو قرطاج " تنتمي إلى هذا البعض القليل ؛ إذ تدور أحداثها في فضاء زماني مستقبلي يعود لعام 2065، وفي فضاء مكاني مديني متخيل هو قرطاج ، وفي هذين الفضاءين معا يختلط الواقعي بالمتخيل والحقيقي بالأسطوري والطبيعي بغير الطبيعي ، والعادي بالخارق في توليفة روائية واحدة متنوعة ، فالكاتبة حاولت التملص من ربقة الماضي وقطع الصلة به بحثا عن يوتوبيا خاصة ، معتمدة على ما أقره كارل مانهايمبأن« اليوتوبيا هي ذلك النمط من التوجه الذي يتسامى على الأمر الواقع ويحطم في الوقت ذاته حدود النظام القائم » (مانهايم، 198، ص: 247). وهذا ما سعت إليه رواية " شيطان في نيو قرطاج " التي حاولت التسامي على الواقع عبر إيجاد عالم روائي متكامل، لذلك تقرر الكاتبة منذ البداية أنّ السيادة في هذا النص ستكون للفعل المضارع الذي«هو بلا منازع ما يتفق وطبيعة هذه المدينة التي ستُشرّعُ أبدا على التجديد»(نعمة، 2016، ص: 11) فهي وإن كانت قد استعملت صيغا صرفية عدة في الحكي بما فيها صيغة المستقبل فهي ترويه باعتباره ماضيا متحققا بالفعل وليس مستقبلا ينتظر التحقق. ولولا ورود بعض الإنجازات العلمية والأماكن المتخيلة والأحداث الخارقة في الرواية لاعتبرنا اللجوء إلى هذه الحيلة الروائية في حكي المستقبل بلزوم ما لا يلزم.

تشكل مدينة" نيو قرطاج " الافتراضية المتخيلة الفضاء الذي تدور فيه الأحداث، وهي مدينة متعددة الثقافات، خارج الأطر الوطنية والقومية، تجري تسميتها بمسابقة دولية ويشترك في تأسيسها مبدعون ومواطنون من نواحي شتى جاؤوا إليها بجنسياتهم وألسنهم المختلفة، وأرادوها مكانا للسلام والفنون والعلوم.

هكذا نكون إزاء مشروع مدينة فاضلة، يتعايش فيها المختلفون بمعزل عن انتماءاتهم السابقة، هي مدينة تنتمي في بعض تفاصيلها وشوارعها ومرافقها إلى الماضي الواقعي الذي تعرفه سائر المدن، وفي بعضها الآخر إلى المستقبل المتخيل والغرائبي الخارق كالغابة النائمة، العائمة ومركز الاستنساخ البشري، على أن الشخصيات الروائية الأساسية التي تؤسس المدينة وتشارك في حكمها تأتي من ماض مثقل بالعنف، المال والسلطة، كما أن لكل منها ذاكرة فاعلة أو معطلة، مسكونة بالممارسات غير المشروعة. وفي هذا مفارقة بين الماضي والحاضر، بين الشخصية والسلوك. وهنا يمكن طرح التساؤلات الآتية: هل فاقد الشيء يعطيه؟ وهل تأسيس المدينة من قبل هذه الشخصيات يشكل تكفيرا عما اقترفته من جرائم في مدن أخرى؟ وهل هذا نوع من توبة متأخرة عن أعمال سابقة؟

عموما مهما تكن خلفيات تأسيس هذه المدينة وأهداف أصحابها فإنّ لكل من الشخصيات التي تطفو على سطح الرواية وتغوص في أحداثها، تاريخها، حكايتها وماضيها، التي تطاردها وتنغص عيشها، وتحاول أن تتحرر منها بالانخراط في المدينة الجديدة، فإن بعضها سينجح في التحول من الماضي إلى الحاضر، ويبقى بعضها الآخر أسير ماضيه الأسود الذي سيستيقظ فيها ليعيد الأمور إلى الوراء. وهكذا فإن المدينة التي أراد مؤسسوها دمج أجناسها المتنوعة لتحسين نسلها والارتقاء بحياة قاطنيها، تُصابُ بلعنة المدن الأخرى وذلك بظهور الانقسامات والصراعات والعنف بداخلها، وكأني بالكاتبة هنا تنطلق من رؤية متشائمة للمستقبل مصرحة في ثنايا روايتها باستحالة وجود مدينة فاضلة بعد خمسين عاما، وبحتمية وجود الشيطان كرمز للشر يلازم المدن، كما تشير إلى أن نوازع الشر وإن كمُنت

لبعض الوقت آيلة إلى الظهور، وهذا ما يترتب عنه مفاعيل مدمرة، وأن نوازع الخير أضعف من إحداث التغيير المطلوب. غير أنها في النهاية تؤكد على تغلب التفاؤل على التشاؤم والخير على الشر والملاك على الشيطان.

تضعنا فاتحة هذه الرواية في عام 2065 الذي يمثل بدء التقويم الجديد، حيث اكتمل بناء مدينة "نيو قرطاج" التي ستلهج الأرض بقيامتها «زمنها الافتراضي خمسون عاما إلى الأمام، بناؤها استغرق ستمائة وخمسة وستين يوما كاملا من الفجر حتى الفجر، شكلها دائري لولبي مساحتها مدى الصوت، اسمها استعارة لحكاية خلدتها في التاريخ أليسار الفينيقية ابنة ملك صور» (نعمة، 2016، ص: 7).وهذا أمر عجيب فكيف تبنى مدينة بأكملها في ظرف سنة واحدة ليلا ونهارا دون انقطاع عن العمل.

تمثل هذه المدينة حلما للنازحين إليها كونهم يأملون في التخلص من ماضيهم المؤلم «العام الذي فتح فيه باب الهجرة إلى نيو قرطاج وبدأ الناس يتوافدون إليها بشغف لم يعرفه تاريخ الهجرات وحمى تذكر بحمى الذهب، مع ذاك الفارق أن بريقه ليس مغامرة مجهولة المصير، بل هو تحقيق لحلم الفوز بوطن آمن وبامتيازات ما كانت تراود أصحابها حتى في الخيال، سيغادرون بلادهم وأهلها ويتخلون عن أسمائهم وذكرياتهم، جاؤوها من أقطاب الأرض وراء كل منهم حكاية، ليبدؤوا زمنا جديدا بريئا من الماضي » (نعمة، 2016، ص: 8) فلا جيش ولا أسلحة في المدينة الجديدة، بل مراكز بحوث متطورة جدا، ليست الحروب غايتها وإنما دمج الأجناس وتحسين النوع والارتقاء بحياة البشر، هذا ما سيجعل الناس يتوافدون إليها منهم " أليسار " الشابة الهاربة من ذكرى انتحار أخيها التوأم و" فراس " الباحث عن حبيبته بين جموع المهاجرين و" كارلوس " الشاب الذي تعرّض لحادث فقد على إثره ذاكرته فأراد بداية حياة جديدة ، وكذلك " لود فيغ " الذي سيكتب بموسيقاه ألحان المجد والعظمة للمدينة الناشئة ليصبح رمزا وطنيا يلمع نجمه في مختلف بقاع أنحاء العالم.

ولتحقيق التمازج الكامل بين أهل " نيو قرطاج " للوصول إلى اليوتوبيا الإنسانية المرجوة ، كان لزاما على سكانها الذين تخلوا عن ذاكرتهم أن يتخلوا أيضا عن أسمائهم ؛ لأنّ الاسم لا يحدد الذات فحسب بل يحددُ علاقاتها بمحيطها ، وبما أنّ اليوتوبيا المستقبلية أريد لها أن تكون جديدة فلا بد أن يبدأ كل شيء من الاسم كلحظة الميلاد الأولى ، لذلك نجد " فراس " قد أطلق على نفسه اسم " ماريو " حتى يسمح له بالدخول إلى قرطاج الجديدة والامتثال لتعاليمها وقوانينها، غير أنه بقي يشعر بالهوة والمفارقة بين اسمه القديم والجديد ، لذلك كان يسأل نفسه دائما «من أنت؟ ما اسمك؟» (نعمة، 2016، ص: 36)، وكأني به لم يعد يعرف من هو.

وعندما تم تكريمه في المهرجان السنوي الثالث لتأسيس المدينة باسم "ماريو" لم تأخذه القشعريرة ولا الانفعال الجمعي قائلا في نفسه: «ربما لأنّ اسمك الأصلي هو فراس لا ماريو»(نعمة، 2016، ص: 37)،لذلك لم ينل التكريم من قبل أهل المدينة كأفضل شخصية استوعبت قوانينها وتمثلت رؤيتها، فالمكرم هو « "ماريو " الذي فرضه " فراس " على نفسه بتأثير المدينة وتعاليمها، نعم " هو "ماريو" لا فراس»(نعمة، 2016، ص: 36).وكانت النهاية أن صفقت الجموع الحاضرة لشخصه المستعار وهو يبكي فرحا عند استلامه للجائزة من الحاكم " كارلوس " «تمالكت نفسك كي لا تبكي فصفق الحاضرون طويلا "لماريو" الذي أبكاه الفرح !! الاسم القناع سيطمس الاسم الوجه !! فكيف لحبيبة " فراس " إذا قصدت نيو قرطاج؟ كيف تهتدي إليه واسمه غدا ماريو"» (نعمة، 2016، ص: 36) فحتما ستصاب بالصدمة.

لقد تخلى "فراس" عن اسمه في زمن العولمة حتى يتخلص من ماضيه تراثا وحضارة، أما " كارلوس " فهو شخصية فاقدة للذاكرة لا تملك أي إرث حضاري يلقي بظلاله على حاضره، لذلك فهو حينما سمح له باختيار اسمه اليوتوبي وقع اصطفاؤه على اسمه الحقيقي،

وهي إشارة مهمة من قبل الكاتبة التي وضّحت أنّ اليوتوبية غربية كونها تفقه حقيقتها وتعلم إلى أين تسير «في استعراضه اللائحة افته اسم "كارلوس" لهذا وقع جميل» (نعمة، 2016، ص: 61).وهذا الاسم ذاته يتمتع بشحنة جامحة ثورية «كثيرون يحملون اسم "كارلوس" ظهرت صورهم وألقابهم على الشاشة: ساسة ومناضلون خرجوا من البلاد الناطقة بالإسبانية غالبيتهم فطروا على التصدي للسلطة والخروج على السائد، عرفوا بالجموع والشهوة لبلوغ المستحيل والاندفاع إلى المخاطر» (نعمة، 2016، ص: 68) من أجل تحقيق أهدافهم المنشودة.

وفيما يخص الشخصيات التي استطاعت النجاح في التحرر من ماضيها، نجد " شندلر " صاحب فكرة التأسيس الذي يؤدي دور المعلّم والمرشد في الحاضر، ويسهر على سلامة المدينة حتى وصل به الأمر إلى التوصية لأهلها بكل ما يملك من مناجم. كما نجده يقر معترفا بابنه المستنسخ "آدم" ويتدبر أمر التخلص من ابنه الشرير " شندل " الذي يستخدمُ العلم لأغراض مُدمّرة، ويُغرقُ المدينة في الحروب والصراعات بعد أن عجز عن إعادته إلى جادّة الصواب. إضافة إلى كل هذا نراه ينجحُ في التحرّر من " هيكتور" الذي خانهُ في الماضي. هذا الأخير الذي دفعهُ جبروته، غروره ونرجسيته إلى حد إجراء الاستنساخ البشري الأول ليرمّم ابنه "شندل " من التشوهات التي ألحقتها به عصابة منافسة له.

وتطرح قضية فناء " هيكتور" في نهاية الرواية تحول ضريح " شندلر" إلى مزار حتمية انتصار الخير على الشر.

ويظهر " كارلوس" حاكم المدينة الذي لا يتذكر أيشيء من ماضيه وذلك بفعل حادث تعرّض له. ولربما كان هذا الشخص مُجرم حرب في الماضي غير أنه في الحاضر والمستقبل يُبدي حرصا كبيرا على المدينة، ويتفانى في حمايتها والمحافظة عليها بالتعاون مع " شندلر ". ولعلّ تحوله إلى نجمة في نهاية الرواية إشارة إلى أن الحاضر هو الذي يصنع المستقبل وليس الماضي. كما يوجد " فراس " الذي يتحول من مقاتل سابق في الماضي إلى مستشار مخلص لحاكم المدينة، إضافة إلى " لودفيغ" المستنسخُ الأول الذي يتم استغلاله كقطع اكسسوار لمن استُنسخ منه، فيتحول من مُطارد إلى مُبدع كبير يؤسس مدينة الفنون أوبرا ومتحفا ومسرحا، ليختفي لا حقا بعد انكشاف أمره في ظروف غامضة.

لم يقتصر النجاح فقط على الشخصيات السابقة، إذ نعثر على أيضا " أليسار " ذات الهويات المركبة المسكونة بذكريات أليمة، والتي تتحول إلى إعلامية ناجحة يجري استغلالها من قوى الشر بابتزازها بابنتيها المستنسختين منها دون علمها.

عموما تفتقر هذه الشخصيات المؤسسة للمدينة الجديدة إلى الواقعية والتلاؤم بين ماضيها وحاضرها، ففاقد الشيء لا يعطيه، والمنخرط في صراعات السلطة، المال والعنف لا يمكن أن يتحول إلى مرشد ومعلم مثلما هو الحال مع" شندلر "، أو إلى حاكم عادل ك "كارلوس " أو مستشار مخلص مثل " فراس ".

في مقابل هذه الشخصيات يظهر " شندل " الابن المدلّل الشرير المغرور الذي لا يتورع عن ارتكاب شتى الموبقات التي بفضلها استطاع تحويل المدينة التي شارك في تأسيسها إلى ساحة حرب، ناهيك عن إشرافه على مراكز الاستنساخ البشري لأغراض مشبوهة، إضافة إلى سعيه لتدمير مختلف المرافق الحيوية والمعالم الحضارية للمدينة، وإبادة أهلها بالحروب والحرائق والطوفان، الأمر الذي دفع بوالده إلى تدبر أمر التخلص منه.

في النهاية يمكن القول بأن هذه الشخصية تبدوا أكثر انسجاما مع تاريخها وأكثر واقعية بالرغم من غرابة وفداحة ما يصدر عنها من تصرفات.

إن هذه الشخصيات وسواها قد انخرطت في الأحداث الروائية سواء من موقع الفاعل أو المنفعل ، وإذا كانت العلاقة بين الأحداث المختلفة هي علاقة تعاقبية ، تراكمية ، كمية غالبا ، فثمة أحداث نوعية تشكل منعطفات ونقاط تحول في مجرى الرواية ؛ فاختفاء " لودفيغ " الفنان المستنسخُ يثير قلق المؤسس والحاكم ويشغل الرأي العام ، وبث المحطة التلفزيونية للشريط المتعلق بالاستنساخ البشري ستكون له من بعد صراعات وأعمال عنف باستخدام وسائل تدمير طبيعية وغير طبيعية ، على أنّ مآل الأحداث في نهاية الرواية ينطوي على رسالة إيجابية بخلاف تلك التي تتوسطها؛ فمقتل "شندل" الشيطان وتحول "كارلوس" إلى نجمة ، وضريح "شندلر" إلى مزار وقيام "فراس" بكتابة أسطورة المدينة، هي وقائع روائية تشير إلى أن الكلمة الأخيرة للخير وإن تمكن الشر في الكثير من أحداث الرواية .

انفتحت هذه الرواية على حقول معرفية وفنية مختلفة اتخذت منها مادتها السردية بامتياز، وهذا يدل على ثقافة مبدعتها الواسعة التي استطاعت بفضلها إثراء نصها، ويتجلى ذلك في تناصها مع الفيلم السينمائي "ابن أوى" الذي تناول محاولة اغتيال "شارل ديغول "، كما تناصت مع رواية " ظل الريح " لكارلوس زائفون"، إضافة إلى ذلك استعانتها بالفيلم التلفزيوني " الطوفان "، واستثمارها في وقائع ماضية كقصص "الانتحار على صخرة الروشة" وأخرى راهنة كالذي يحدث مع المنظمات الإرهابية مثل داعش وغيرها.

ولعل أبرز ما ميز "رجاء نعمة"في روايتها هذه توظيفها للخيال العلمي والأساطير، إذ قامت بتذويب هذا في خلطة إبداعية ساحرة، استطاعت من خلالها إسقاط الحاضر على المستقبل، حيث تشتعل الحروب الأهلية لتلتهم كل شيء في طريقها. كما تمكنت من إسقاط الماضي الأسطوري والديني على المستقبل وهذا بتصويرها لغرق المدينة بفعل الطوفان، مستخدمة في ذلك تقنية الراوي العليم المنفرد الذي يسرد المستقبل بتقنية الماضي، وهذه إحدى مزايا هذه المبدعة.

نلاحظ في هذه الرواية استحالة نمو بعض الشخصيات مثل " أليسار" التي عادت إلى لبنان من المهجر صبية في سبعينيات القرن الماضي، ثم تقديمها بنفس الصفة في عام 2065 من ستينيات القرن الجاري، حيث نجدها تعشق في الحاكم، تحب الموسيقى وتلمع كنجمة إعلامية يشار لها بالبنان، الأمر الذي لا يستوي مع طبيعة الأشياء، ناهيك عن غرابة بعض الشخصيات الأخرى. ومع هذا يسجل للكاتبة فضل ارتياد فضاء زمني قل مرتادوه، إذ جعلت من المستقبل مادة لروايتها مسجلة من خلاله رؤيتها الإيجابية في نهاية الأحداث، بحيث اندثر الشر وتولى وغابت رموزه إلى الأبد، فلا يصح إلا الصحيح مع الخير وأهله لأنه هو الذي يبقى ويتذكره البشر طول حياتهم، وهذا الطرح جعل الرواية تنفرد بصفة التنبؤات المستقبلية للبشرية على ضوء حاضرها التعيس.

إن ما يمكن استنتاجه أنّ المتلقي لرواية " شيطان في نيو قرطاج" يستشعر أفكار الساردة المتعالية التي تتجاوز الوجود المادي، فهي ذات نوازع نبيلة تفاؤلية حاولت من خلالها الانعتاق من الواقع المغرق في التشاؤمية مُشكّلة تعويضا ومعادلا فنيا كونها اشتغلت على بُعد استشرافي متخيل بين رؤية يوتوبية تعانق المفقود مترجمة عالما طوباويا، وأخرى ديستوبية تعجُّ بصراعات فكرية إنسانية ، فالشخوص في اليوتيوبيا الحذرة في هذه الرواية الممثلة في الشابة "أليسار"، حاكم المدينة "كارلوس"، الموسيقار"لودفيغ" و"فراس" كلهم تخلوا عن أسمائهم الأولى وعن ذاكرتهم بمحض إرادتهم ؛ لأن «الذاكرة تنتسب للجذور والأسماء الأولى في غواية إنشاد المنادى، أما هؤلاء فكلهم

غادروا بلدانهم كلهم اشترطوا على أنفسهم أن يتخلوا عن أسمائهم وذكرياتهم» (نعمة، 2016، ص: 8) وبالتالي الانسلاخ التام عن ماضيهم الذي يمثل حقيقتهم .

ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ البحث عن اليوتوبيا يستلزم التخلّص من أخطاء الماضي، خاصة إذا كانوا أصحابه يمثّلون أمما مختلفة في ثقافاتها وتاريخها وصراعاتها الإثنية والسياسية «جاؤوا من أقطاب الأرض وراء كل منهم حكاية ليبدأوا زمنا جديدا بريئا من الماضي» (نعمة، 2016، ص: 9) يتجه بهم إلى مستقبل أفضل في وحدة تتجاوز فيها العلاقة الوطنية نحو العلاقة الإنسانية. غير أن الذاكرة ليست كالاسم فإذا كان هذا الأخير لا يلغي الشخصية التي يعيّنها فإنّ الذاكرة هي من صميم الذات العميقة وإزالتها من الوجود ليست بالأمر الهيّن، لذلك كانت «الذكريات لدى فراس كنزه المنقول علة وجوده، لا يهم إن كان يشقى فيها أو ينعم لا يهم، فدافعه إلى نيو قرطاج لم يكن النسيان بل التذكر» (نعمة، 2016، ص: 35)من أجل بناء ذاته من جديد.

كما لعبت الذاكرة دورها في اختيار كارلوس لاسمه لأنها تسكن أعماق ذاته التي يلفها النسيان ولكنها «في ومضات الصفاء كما في الأحلام، تُرجعُ لصاحبها ما ظنه قد غار في طيّات النسيان إلى غير رجعة» (نعمة، 2016، ص: 67)، لأنها وبكل بساطة تفرض نفسها عليه.

لم تكن اليوتوبيا الجديدة غير يوتوبيا الاسم، أما الذاكرة فقد حافظت على علاقتها بالماضي سواء كان عن وعي أو عن غير وعي. وإذا كانت "رجاء نعمة" قد قررت الانفصال عن الماضي وتجاوزه إلى المستقبل اليوتوبي عبر قطع الصلة معه نهائيا، فإن هذا الماضي الدفين سيتحول إلى الشيطان الحقيقي الذي يهدد هذه المدينة التي جمعت شتات العالم ومحت الاختلافات بين أفراده لتحقق ما تصبو إليه العولمة عبر إشاعتها للثقافة العالمية الموحدة.

لقد تحول هذا الماضي إلى عالم مواز خفي هو عالم الذاكرة الذي يخفي في ثناياه الحقيقة البشعة لكل هؤلاء الشخوص الذين يظهرون، أما المتلقي فهو حالم بيوتوبيا استشرافية مستقبلية يسودها السلام. ولأن "كارلوس" حاكم المدينة هو الوحيد الفاقد للذاكرة فهو أيضا الوحيد الذي يكتشفها مع القارئ «هذه المدينة الأخرى التي انفصلت عن سلطتك !! توأم نيو قرطاج الشيطاني !! دخلها حصان طروادة بزعامة "شندل" قبل مجيئك يا"كارلوس" بسنوات» (نعمة، 2016، ص: 289). وفي هذا تأكيد على أنه كان مفصولا عن ماضيه فيما سبق.

لم تحقق هذه العولمة الوحدة لأن الماضي الذي حمل تلك الفروق لم يندثر نهائيا بسبب فكرة الاستنساخ الحضاري والبشري الذي طغى على فكرة اليوتوبيا، فالوافدون إلى قرطاج لم يبتكروا فنا، بل «يقلدوا أو يستنسخوا أعظم ما خلفته حضارات الدنيا من معالم !! في المركز حيث " الميدان الكبير " ستُنصبُ المِسلّةُ، إن كانت هذه لجهة الشكل تشبه الفرعونية التي نقلها نابليون في حملته الشهيرة إلى عاصمة بلاده، لتتجاوز تلك القامة، تجاوزا على أهميته ليلفت الرائي، ذلك أنّ شروط الجمال والتناسق هي ذاتها شروط الخداع» (نعمة، 2016، ص: 9) التي بإمكانها التأثير على الملتقي.

وهذا الاستنساخ لم يتم على المستوى العمراني فقط، بل تعداه إلى ما هو بشري أيضا «أنا هو المستنسخ الأول في التاريخ»(نعمة، 2016، ص: 17).هذا ما صرح به "لودفيغ" عندما أعلن أن الموسيقي الذي يرونه ما هو سوى كائن تم استنساخه من طفل آخر ليرمم بأعضائه التي فقدها الطفل الأصلي «قدومي إلى الدنيا لم يُترك لأهواء المصادفات بل استدعيت أنا بذاتي توأما متأخرا لأصل معبود، أودع

فيه أب متكبر خلاصة نرجسيته، وحلم بوليّ عهد عزّ مجيئه، كان قريني قد تعرّض للتشويه، فعل أنزلته به مافيا انتقاما من أبيه، انتقام أفقد الطفل بعض أعضائه وتحديدا تلك التي سأعاني أنا من فقدانها بعد ذلك» (نعمة، 2016، ص: 39).

تأسست هذه المدينة الفاضلة على الهروب من الماضي فكان هو سلاح شيطانها «شيطان المدن عرف دربه إلى "نيو قرطاج"، لا بل أن هذه المدينة منذ أن نبتت في الأرض كان الشيطان ضيفها الأول» (نعمة، 2016، ص: 331)،فكان السبب في نهايتها ونهاية اليوتوبيا الحالمة التي أرادت الكاتبة تحقيقها من خلال هذه الرواية التي حذرت فيها من تغول العولمة العالمية التي يتخلى فيها الإنسان عن ذاته لتقول في النهاية «ملعونة مدن تأسست على الخديعة» (نعمة، 2016، ص: 406)لأن نتيجتها الحتمية ستكون الزوال.

4.خاتمة

بعد دراسة وتحليل العنوان والبنية السردية لرواية "شيطان في نيو قرطاج"، أسفرت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

-تحيل كلمة الشيطان في العنوان على أمر عظيم سيحدث في المدينة، فهذه المفردة أسطوريا وعقائديا لا تبشر بالخير إطلاقا، وكأني بأمر عظيم سيحدث فيها، وهذا ما كان فعلا، فالحلم ببنائها تلاشى في نهاية المطاف، لأن الشر الذي هاجر مع من يبحثون عن موطن جديد لهم بقي مسيطرا على أذهانهم ونفوسهم.

-تميزت أحداث هذه الرواية بالتسلسل المنطقي في عرضها، كانت بدايتها بالهجرة إلى المدينة الجديدة سعيا لتغيير الوضع السيء، ثم تبني الأفكار الهدامة السابقة الذي أدى في النهاية إلى اضمحلال وتلاشي حلم الحياة السعيدة فيها.

-اتسمت الشخصيات بخداع نفسها وغيرها لكونها كانت تسعى إلى تحقيق ما يتناسب مع أفكارها ورغباتها في سبيل تحقيق طموحاتها، كما أن جميعها مستوحى من التاريخ الأسطوري لمدينة "صيدا" اللبنانية الأصل.

-يسبح الزمن في عالم الخيال، كون الأحداث صورت في زمن مستقبلي، وهنا تكمن أهميته فالروائية عمدت إلى ذلك كونها ترى مصير هذه المدينة الخراب لا محال إن لم يتم إسعافها حاليا وفي أقرب وقت ممكن وذلك بتطهيرها من كل من يحمل فكرا شيطانيا تخريبيا يسعى إلى تدمير الإنسانية.

-يبدو من خلال اختيار الهجرة إلى هذه المدينة أنها كانت تنعم بالاستقرار وبصفاء نفوس من يقطنها، لذلك كانت تمثل جنة الخلاص لمن أرادوا الذهاب إليها والمكوث فيها بصفة دائمة، وهذا ما لم يتحقق إذ قاموا بتدنيسها بأعمالهم الشريرة.

في الختام وجب اقتراح ضرورة التعمق أكثر بالبحث في ثنايا هذه الرواية، لأنها لم تبن من فراغ، فالغاية منها تكمن في ضرورة الحفاظ على الوطن مما يتربص به، كما أدعو إلى الاهتمام أكثر بالرواية الديستوبية لما تحمله من تنبؤات مستقبلية مبنية في الأساس على الراهن الذي لا يبعث على التفاؤل حتى يمكن تجنب كل ما هو سلبي.

قائمة المراجع

1- ابن منظور جمال الدين بن محمد بن مكرم، (دت)، لسان العرب، المجلد 15، بيروت، دار صادر، ط1.

2- برنيري ماريا لويزا، (1997)، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر، عطيات أبو السعود، مراجعة عبد الغفار مكاوي،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1.

3- الطنطاوي علي، (1442هـ)، تعريف عام بدين الإسلام، جدة، دار المنارة، ط22.

4- مانهايم كارل، (1980) الأيديولوجيا واليوتوبيا، تر، محمد الدريني،الكويت، شركة المكتبيات، ط1.

5- ميادان مادلين هورس، (1981)، تاريخ قرطاج، تر، إبراهيم بالش، بيروت، باريس، عويدات، ط1.

6- نعمة رجاء،(2016)، شيطان في نيو قرطاج، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1.